

الترجمة الأدبية بين الحرفية و الإبداع

صبار نور الدين

جامعة سيدي بلعباس

كثرت معاني الترجمة وإن كانت في حقيقة الأمر كلمة عربية خالصة ، بحيث نجد لها معاني متقاربة في مختلف المعاجم العربية ، فقد جاءت في لسان العرب بصيغة ((الترجمان و الترجمان بالضمة والفتحة:المفسر للسان)) (1) كما جاء في معجم متن اللغة ((ترجم كلامه :بينه وأوضحه ، وترجم الكتاب وترجم عنه : فسر بلسان آخر، والترجمان :الناقل الكلام من لغة لأخرى ،والمفسر للسان)) (2)

إذا كانت الترجمة هي النقل من لغة إلى أخرى ، فإن المشكلة التي تواجهه المترجم وهو بصدد ترجمة نص من النصوص ،هي ما إذا كان ينظر إلى هذه النصوص من خلال مرآة تعكس الشخصية الأجنبية أم من خلال مرآة الفن .وهو أمر لا ينطبق على مترجمي النصوص الدينية ،التي يلتزم فيها المترجم بالترجمة الحرفية . فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لهذه الترجمة ، فإنه ليس كذلك بالنسبة لترجمة الشعر بلغة أصلية إلى لغة أخرى ، بحيث يجب أن تكون دقيقة دقة متناهية ، أو حرفية لا تصرف فيها ، إذ أن كل لغة لها جرس وموسيقى خاصين بها ، تختلف عن أي لغة أخرى ، فحروف الخاء والعين و الغين والقاف في اللغة العربية لا مثل لها في معظم لغات العالم فحرف الخاء تختلف معانيه بحسب كيفية النطق به ، فإذا لفظ مخففا قريبا من الحلق كانت إحياءاته مزيجا من الأحاسيس اللمسية رخاوة و رقة وإذا لفظ بشيء من الشدة بعيدا عن جوف الحلق أوحى بإحساس لمسي رخو وبمشاعر إنسانية —

صبار نور الدين

الاشمئزاز و التقزز أما حرف العين فهو متوسط الشدة نقيض صوت الغين يوحى بالفعالية والاشراق و الظهور و السمو يدل على الشدة و الصلابة و القطع و الثقل و الضخامة و العيوب الجسدية كما يدل على الرقة و اللطافة مع الخلو من العيب ، أما حرف الغين فهو مجهور رخو يدل على الاضطراب و البعثرة والتخليط والاهتزاز أما حرف القاف فهو شديد مجهور يوحى بالقساوة و الصلابة والشدة و الفعالية ، (3)

من هنا تعتبر الترجمة الصوتية TRANSLITERATION من بين أعم مشاكل علم الأصوات التي يواجهها المترجمون ، خصوصا بالنسبة لأسماء العلم NOMS PROPRES. إن مثل هذه الكلمات عادة يجب أن تستعار ، ولما لا توجد لغتان تمتلكان بالضبط نفس الأصوات فإن نقل كلمة من لغة إلى لغة أخرى يحتم إجراء شكل ما من التكيف ، و يمكن أن يستند هذا التكيف على الأصوات المستخدمة كما يمكن أن يكون مجرد شكل من أشكال ترجمة صوت الحروف المستعملة لتعيين شكل الأسماء TRANSCRIPTION. (4) من هنا تكون الحلول العملية لمشكلة الترجمة الصوتية لأسماء العلم على ثلاثة أشكال هي :

- 1-التكيف الكامل لصوت الكلمة المستعارة وفق النظام الصوتي في لغة المتلقي .
- 2-الاستعارة البسيطة لصيغة الضبط الإملائي لاسم العلم من لغة المصدر دون الرجوع إلى الأصوات أو إلى غرابة الضبط الإملائي في لغة المتلقي .
- 3-إيجاد حل وسط الذي يستلزم التمييز بين الأسماء المعروفة جيدا وبين تلك الأسماء غير المعروفة . (5)

أما بالنسبة للشعر فيجب تبديل أبنية موازين الشعر و التقفية لأن تطابقات أصوات الكلمات بين اللغات تعتبر متنوعة جدا بحيث تجعل قولبة الشعر بالشعر أمرا

الترجمة الأدبية بين الحرفية والإبداع

مستحيلا .ومع أن جميع اللغات تملك تعبيراً موزوناً في عروض الشعر و تستطيع أن تستخدم سلاسل مقفاة من الأبيات الشعرية ،فإن الطرق التي تستخدم فيها مثل هذه الصيغ لا تتطابق إلى حد وثيق من لغة إلى أخرى ، خصوصاً عندما تكون الأبنية اللغوية و التقاليد اللغوية متنوعة تماماً .(6)

من هنا تصعب عملية الترجمة لأنه مهما كانت ((براعة المترجم فإن الشعر يأبى النقل ، وإذا ما حول عن لغته الأصلية فإنه يفقد قيمته ويصير في اللغة المنقول إليها نصاً ممسوخاً مشوهاً .فإذا كانت ترجمة الشعر عملية عبثية ميؤوساً منها فليس ذلك راجعاً إلى المترجمين ، وإنما إلى طبيعة الشعر نفسه الذي لا يحتمل التحويل))(7) فلا يمكن أن تكون ترجمة الشعر العربي على سبيل المثال إلى شعر أوروبي دقيقة حقاً إلا إذا كان جرس الحروف في اللغة الأجنبية وموسيقاها مشابهاً لجرس الحروف في اللغة العربية و موسيقاها ، وهو أمر مستحيل لعدم وجود حروف مماثلة في اللغة الأخرى ، يضاف إلى ذلك أن كل كلمة في أي لغة من لغات العالم لها مصاحبات و ظلال من الألفاظ والمعاني تدور في فلكها و تضيف عليها معنى خاصاً يختلف عن مصاحبات اللغة المقابلة ، لأن كل كلمة في أي لغة تكتسب معناها من مجموعة معطيات يدخل فيها تفكير الشاعر بكل ما يحمله من مخزون ثقافي وفكري خاص به ، لا يمكن أن يقابله عالم أي كلمة في لغة أخرى بحيث لا يمكن القيام بأي تحليل واف بالمرام لطبيعة المعنى دون القيام بتقييم دقيق لبعض القواعد الضمنية المعبنة لعملية الإبصال الإنساني وهناك بين هذه القواعد عناصر معبنة في علاقات التبادل بين الأشخاص تفرض تحديدات كبيرة جداً على عملية الإيصال ، بينما توفر عناصر أخرى درجة عالية من الوضوح المتبادل .وهي تتكون من حقيقتين أساسيتين هما :

صبار نور الدين

1- أن ليس هناك شخصان يستخدمان بالدقة نفس الرموز اللغوية للتعبير عن نفس الأنماط الموجودة في التجربة (أي ليس هناك شخصان يمتلكان بالضبط نفس الخلفية ومن ثمة فالجميع يختلفون في استعمالهم حتى بالنسبة لمجموعة رموز نفس اللغة).

2- وليس هناك شخصان يستخدمان نفس الرموز اللغوية بنفس الطريقة تماما ، أي بنفس الأنماط الترتيبية . بتعبير آخر ، يمتلك كل شخص أسلوبه المتميز الخاص به ولما كان الأمر هكذا فإن الايصال المطلق و غير المقيد بين الأشخاص يعتبر أمرا مستحيلا ، وقد يبدو لنا في الحقيقة أن أية درجة فعالة من الايصال ستكون مستبعدة ولكن الأمر ليس كذلك ، لأن هناك أربع عوامل أساسية توفر درجة عالية نسبيا من الوضوح المتبادل ، لا ضمن لغة واحدة فحسب بل وبين أفراد مختلف المجتمعات الكلامية . وهذه العوامل هي :

1- تشابه العمليات الذهنية لدى جميع الشعوب .

2- تشابه ردود الفعل الجسدية . لأنها عوامل تعتبر مهمة جدا في تحديد المعنى ، بل هي تشكل بعدا من أهم أبعاده ، لأنه من المهم أن تكون هناك درجة عالية نسبيا من الاتفاق بين الشعوب في كافة أرجاء العالم . نطاق التجربة الثقافية : فيما يتعلق بالعناصر الأساسية للثقافة ، أي العناصر المادية والاجتماعية و الدينية واللغوية والجمالية ، تشارك كل المجتمعات في جميع المراحل الزمنية وبطرق متشابهة جزئيا فيها .

1- القدرة على التكيف إلى الأساليب السلوكية للآخرين . (8)

وهي عوامل تستدعي توفر تكامل العناصر الثلاثة لاستراتيجية الكتابة و الإبداع ((فمقاصد صاحب النص تحدد الجنس والأنواع والأهداف ، ومقاصد النص تجعله ينظم نفسه وينمو تلقائيا ويتناسل ويحيل على نفسه . على أن هناك عنصرا ثالثا صار يؤخذ في الحسبان وهو القارئ ، المتلقي أو المترجم ، إذ لم يبق ذلك التصور الذي كان يرى أن المعاني معطاة في النص وأن ليس على المحلل أو المترجم

الترجمة الأدبية بين الحرفية والإبداع

إلا أن ينقلها إلى الناس كما هي على أن هناك تصورا يسعى جاهدا ليحل محله وهو أن النص ليس إلا قادحا لبناء معان من قبل المتلقي أو المترجم (((9)

فحين يترجم شعر أي شاعر إلى لغة أخرى تكون الترجمة حتما أقرب إلى التعبير عن الفكرة الأصلية وأكثر توافقا معها ،من ألفاظ الشاعر صاحب الفكرة ، وهي بهذا لا ((تشكل سوى أحد قطاعات العلاقات الأدبية العالمية ، أو في أحسن الأحوال نوعا من الاستيراد الأدبي)) (10) والمقصود بهذا هو أن هناك مضمونا واحدا ، وهو الأصلي الذي يكاد أو يجب ألا يصيبه أي تغيير عند الترجمة ، وهذه الحقيقة تنفي الزعم الخاطئ الشائع أن المترجم لا يقوم بعمل خلاق ، وليس هو بشاعر ولكنه صانع ماهر أو صاحب حرفة ، أي أنه لا يملك في جعبته شيء يقدمه للمجتمع ولكن هذه الفكرة يجب أن نتخلى عنها لأنه لا يردد أنغامها صاغاها الغير له ، وليس هو فنانا أجوف كما يزعم البعض ،أو واحدا من عشاق الفن ليس إلا ، صحيح أن هناك طائفة من المترجمين ينطبق عليهم هذا الزعم ، ولكن المترجم هو فنان أدبي يتطلع إلى قالب يناسبه يصب فيه خبرته الخاصة ،لأن الدافع الذي يحذو به إلى الترجمة ليس حب التقليد ، بقدر ما هو جاذبية محتوى يصادف لدى المترجم هوى يستهويه ويجذبه لإعادة صياغته باللغة المترجمة تهزه انتفاضة وجدانية اكتشفها بين ثنايا القصيدة المترجمة ، فتصبح الترجمة بذلك انسكابا للذات الانسانية وجدت لها متنفسا عن طريق النص المترجم مع التأكيد على ضرورة ((أن يراعي المضمون و البنية والشكل والصورة والرموز والأصوات ، على أن الخطاب الشعري تهيمن فيه بعض العناصر على الأخرى تبعا للظروف التاريخية والمذاهب الفنية والسياق العام . فقد شاع حيناً من الدهر شعر المضمون ، وانتشر حيناً آخر من الزمان شعر الشكل ، وركز أحيانا على الصوت ومزج بين اللغة والرسم .إن الأهم هو النظر إلى مهيمن النص ليميز في

الترجمة ،لأن محاولة ترجمة كل المكونات الشعرية معجزة لا يمكن أن ينهض بها أحد .)) (11)

فالمحافظة على جانب المضمون الثابت أمر نسبي ،لأن تطابق نص الترجمة مع نص الأصل لا يمكن في كثير من الأحيان أن يكون تاما، و عليه تبقى مهمة المترجم هي العمل على جعله متطابقا قدر الإمكان .

الهوامش :

- 1- ابن منظور : لسان العرب - لبنان - بيروت - دار الصادر .
- 2- أحمد رضا : معجم متن اللغة - دار مكتبة الحياة - بيروت 1985.
- 3- د. حبيب مونسي : توترات الابداع الشعري - دار الغب - 2000 ص/40 - 46.
- 4- يوجين أنيدا : نحو علم للترجمة - الجمهورية العراقية وزارة الاعلام 1976 . ص 368 .
- 5- نفس المرجع : ص / 370.
- 6- نفس المرجع : ص / 371.
- 7- عبد الفتاح كليتيو : بين الفلسفة والشعر - مجلة فكر ونقد .عدد 22م. ص / 82/83.
- 8- نحو علم للترجمة : ص/ 118/115.
- 9- مفتاح محمد : التشابه والاختلاف - نحو منهجية شمولية - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب 1966 - ص / 201/202.
- 10- جوزي لومبير : الترجمة - ترجمة : حسان محمد عبد الفتاح - مجلة فكر و نقد .عدد 10 ص / 117.
- 11- مفتاح محمد : التشابه والاختلاف - نحو منهجية شمولية - ص / 201/202.